

# الوثائق والتوثيق في العراق

Handwritten notes in Arabic script, likely a list or index of documents.

Handwritten notes in Arabic script, possibly a summary or introduction.

Handwritten notes in Arabic script, continuing the list or index.

Handwritten notes in Arabic script, possibly a summary or introduction.

Handwritten notes in Arabic script, continuing the list or index.

Handwritten notes in Arabic script, possibly a summary or introduction.

# الاعراب في اللغة العربية

بقلم الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

## الوثيقة : دلالتها وأهميتها

لم تكن في العصور القديمة أو الوسطى حدود فاصلة بين الآثار والمخطوطات والوثائق، وكلها مصادر للتاريخ، وبصورة تدريجية وبسبب التطور في أساليب البحث، توزعت المخطوطات وأصبحت تنقل إلى أبنية خاصة أطلق عليها أولاً اسم : المكتبات، وتم نقل الآثار إلى المتاحف، كما نقلت الوثائق إلى دور الوثائق، وتشمل الوثائق : الدواوين والسجلات والمراسلات والخرائط والصور والأختام والاتفاقيات والمعاهدات، وأطلق على تلك الدور اسم : الأرشيفات، ومع ذلك فإن هناك تداخلاً واضحاً بين المتاحف والمكتبات ودور الوثائق، فأصبح أمراً طبيعياً أن تجد وثائق مهمة ضمن المكتبات، وقد تضم المتاحف قسماً من نواذر الكتب والمخطوطات، وقد نجدها في المساجد ومراكز العبادة والقصور.

والوثائق هي كل ما له قيمة تاريخية أو أدبية أو فنية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو غيرها من النواذر التي تتركها الحضارات والجماعات والأفراد في مختلف العصور والأماكن.

فإن الوثائق هي كل ما له قيمة تاريخية أو أدبية أو فنية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو غيرها من النواذر التي تتركها الحضارات والجماعات والأفراد في مختلف العصور والأماكن.

تتم

بكر

تتم

تتم

تتم

تتم

وزارة الثقافة  
مركز الأبحاث والبحوث  
بغداد

الوثيقة - ٨١  
بغداد - ١٩٨٥

مركز الأبحاث والبحوث  
بغداد

الوثيقة - ٨١  
بغداد - ١٩٨٥

وقبل مواصلة الحديث عن الوثائق وماهيتها وما تشمله وأنواعها وأهدافها، لابد من وقفة سريعة عند اشتقاق هذا اللفظ ودلالته في اللغة العربية، بالرجوع إلى الفعل (وثق)، فالثقة مصدر قولك : وثق به يثق (بالكسر) وثاقة وثقة أي : ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به وهي موثوق بها وهم موثوق بهم .

ووثقت فلاناً إذا قلت إنه ثقة، وأرض وثيقة : كثيرة العشب موثوق بها، والوثاقة مصدر الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم يوثق وثاقه، والوثاق اسم الإيثاق . قال تعالى في كتابه العزيز : بسم الله الرحمن الرحيم :

”حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق“<sup>(١)</sup> .

ووثق الشيء (بالضم) وثاقه فهو وثيق أي صار وثيقاً . والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق .

والوثيق الشيء المحكم، والجمع : وثاق .

ويقال : أخذ الوثيقة في أمره، أي بالثقة .

وتوثق في أمره : مثله، ووثقت الشيء توثيقاً، فهو موثق .

والوثيقة : الإحكام في الأمر، والجمع وثيق .

والوثيق هو العهد الوثيق، والموثق والميثاق : العهد، والجمع : الموائيق، وقيل الجمع : الموائق .

والموائقة : المعاهدة، ومنه قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم : ”واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به“<sup>(٢)</sup> .

والميثاق : العهد، مفعال من الوثاق .

واستوثقت منه، أي أخذت منه الوثيقة<sup>(٣)</sup> .

ووردت في القرآن الكريم مفردات الوثاق والميثاق في مواضع عدة لا مجال لذكرها هنا

يمكن الرجوع إليها، منها قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ" <sup>(٤)</sup>، وقوله عز وجل، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : "فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا" <sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: "فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" <sup>(٦)</sup>.

والوثيقة Document لا تعني النص المخطوط أو الخبر المروي فقط، بل أن مضمونها أوسع من ذلك، فهي تشمل : القبور والأبنية والأسلحة والأدوات والملابس والسجلات الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات والوثائق السياسية، وكلها آثار مادية، كما تشمل الوثيقة الروايات والقصص والأساطير والأقوال والحكم سواء أكانت شفوية مروية أم مكتوبة. فضلاً عن الوثائق الكتابية أو اليدوية مثل : التصاوير والمشاهد التاريخية وبعض الحفلات والكتابات والنقوش <sup>(٧)</sup>.

من كل ما سبق نستطيع القول أن الوثائق هي الأصول التاريخية، والتاريخ يعتمد اعتماداً أساسياً على الأصول. لذلك قيل : "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ" <sup>(٨)</sup>. ويقصد بالأصول الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، وأن البحث والتفتيش عن الآثار التي خلفها السلف هو واجب المؤرخ <sup>(٩)</sup>. وبهذا المعنى تلقت الأصول وتقترب من الوثائق. ولعلها تتطابق في المعنى. فالوثائق هي الأدلة لأنها وثقت أي : دونت، سواء أكانت آثاراً مادية أم آثاراً مدونة أي كتابية .

والبحث عن الوثائق من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ، وعملية الكشف عن كمية من الوثائق المهمة عن موضوع معين، هي التي تحدد إمكانية الاستمرار في البحث التاريخي أو العدول عنه. وقيمة أي وثيقة ترتبط بالمعلومات التي تشتمل عليها. ولأهميتها قيل : "وحيث لا توجد الوثائق ينعدم وجود التاريخ"، لأنه ليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع تلك الوثائق، فالباحث الذي لا يمكنه الوصول إلى مجموعة الوثائق الأساسية لبحثه لا تكون له قيمة علمية مهما كانت كفايته وقدرته على العمل <sup>(١٠)</sup>.

وقد يكون الغرض من الوثيقة حاجة الناس إليها في ذات العصر الذي أنجزت فيه، مثل الأبنية والقبور والألبسة والسجلات الرسمية والوثائق السياسية، ولا يخفى ما لهذه



الوثائق من أهمية آنية قريبة بالنسبة إلى الإنسان . وقد يكون الغرض من الوثائق أن تنتفع منها الأجيال اللاحقة ، ولكي يقفوا عن كذب على أخبار ومجهودات وأحداث من سبقهم لأخذ الدروس والعبر ، لكي تتواصل الحضارة وينتقل التراث . وقد تكون الوثائق شفوية مثل الروايات والقصص والملاحم والأقوال المأثورة ، وربما وردت إلينا مكتوبة أو مصورة أو صنعت بيد الإنسان ، ومن أمثلتها التصاوير التي تمثل المشاهد التاريخية ، أو الكتابات والنقوش الموجودة على الأبنية<sup>(١١)</sup> .

تعد الوثائق من الأصول التاريخية التي يعتمد عليها التاريخ ، وتخضع إلى منهج البحث التاريخي ، وتمر بالمراحل التالية :

- ١ - جمع الوثائق أو الأصول .
  - ٢ - نقدها سلباً أو إيجاباً .
  - ٣ - مرحلة التأليف بين الحقائق وتركيبها وعرضها .
- وتخضع الوثائق لمناهج النقد بنوعيه : النقد الخارجي والنقد الداخلي معاً .
- ١ - **النقد الخارجي** : ويتناول دراسة المادة التي كتبت عليها الوثيقة كالورق أو البردي أو الرق أو القماش أو الجلد ، وكذلك دراسة علامات الإثبات . سواء أكانت أختاماً أم توقيعاً للتأكد من صحتها ومن كونها صادرة عن الشخص الذي تنسب إليه الوثيقة . ثم دراسة أسلوب الخط لمعرفة العصر الذي تعود إليه .
  - ٢ - **النقد الداخلي** : ويتناول دراسة اللغة المستعملة والصيغ الواردة في الوثيقة . مثل عبارات الافتتاح (الديباجة) ، والموضوع الذي تتناوله الوثيقة (نصوصها) وعبارات الاختتام والتاريخ<sup>(١٢)</sup> .
- ونظراً للأهمية الكبيرة للوثائق فقد تنبهت الدول منذ أقدم العصور إلى الاهتمام بها وحفظها وسن القوانين والتشريعات التي تنظم الإفادة منها وحمايتها .
- أما المقصود بالتوثيق Documentation من الناحية الاصطلاحية ، فإنه يعني جمع الوثائق والمستندات ونقدها وتمحيصها وتقديمها للناس في هيئة أقرب ما تكون إلى الأصل الذي صدر عن مؤلفها أو صاحبها<sup>(١٣)</sup> .

## علم الوثائق

يعرف علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم علم الدبلوماسية ، Diplomatic بالإنجليزية (دبلوماسية - Diplomatique) بالفرنسية (الدبلوماسية)، واشتق الاسم من الكلمة اليونانية Diploma، ومعناها : صحيفة مطوية .

سميت الوثائق بهذا الاسم لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية إما على قراطيس البردي أو قطع الرق أو الورق بعدما انتشرت صناعته في العالم . ثم تطوى الصحيفة بحيث تصبح ملفوفة وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش ، وقد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف ، لذلك سمي العلم الذي يدرسها ب : علم الأوراق المطوية ، وإن كان يشمل أيضاً دراسة كل السجلات والأضابير التي كانت محفوظة في الدواوين المختلفة<sup>(١٤)</sup> .

ولما كانت الوثيقة كلمة عامة ، فقد أطلقت على المستند قانونياً كان أو غير قانوني ، وإزاء هذه العمومية يفضل بعض الباحثين المعاصرين استعمال تعبير أكثر دقة وشمولاً هو : "الوثيقة الدبلوماسية" ، نسبة إلى علم الدبلوماسية بالفرنسية أو دبلوماسية بالإنجليزية ، عدا بعض العلماء الألمان الذين يفضلون استعمال كلمة بديلة هي : "أركندليلر" . وإذا تتبعنا الأصل الذي اشتقت منه هذه الألفاظ لوجدناه في اللغة اللاتينية بصيغة : دبلوماسيكوس Diplomaticus .

والدبلوما لفظ انحدر عن كلمة إغريقية الأصل هي : دبلو diplo التي وردت بصيغ مختلفة والمعنى الحرفي لها هو : يطوي أو يضاعف doublo أو صفحة مطوية . ومن هنا سمي العلم الذي يدرسها ب : علم الأوراق المطوية ، ومن معانيها : الرسالة التي تطوى مرتين . واستعملها الرومان أول الأمر للدلالة على الجواز أو الإذن بالسفر لمصاحبة البريد العام . ومن الدبلوما جاءت كلمة الدبلوجراف diplograph . ويقصد بها الطريقة التي يتم فيها تدوين الكتابة بصورة مضاعفة وفي الوقت نفسه (في آن واحد)<sup>(١٥)</sup> .

وتنوعت معاني الدبلوما وتعددت ، فمن معانيها : الوثيقة المختومة من قبل سلطة حاكمة قوية ، واستعملها الإنسانيون في عصر النهضة لتمجيد الأعمال والمنجزات في ميدان الخدمة العامة أو الذين قاموا بأعمال أدبية أو فنية بارزة ، وبمرور الزمن تطور المعنى إلى

مبدأ الحفاظ على وثائق العصور الوسطى والعناية بها بصورة عامة أو دراسة هذا النوع من الوثائق. ومن معاني الدبلوما : الرسالة المطوية أو رسالة التوصية أو الورقة الرسمية التي تصدر عن جهة حكومية، أو أنها وثيقة رسمية أو عهد، أو الصكوك والمستندات التاريخية أو الأدبية أو الوثيقة التاريخية .

ومن معاني الدبلوما : وثيقة الشرف، التي تمنح للتشريف أو حيازة مرتبة شرفية، أو تمنح للحصول على امتياز أو ترخيص، وللدبلوما معانٍ أخرى في مجال السياسة ودراسة الوثائق لا مجال لذكرها هنا<sup>(١٦)</sup> .

أما البلوماتيك كفن فيعرف بـ : العلم الذي يختص بتحقيق الوثائق ونقدها. ومن الاشتقاقات المتصلة بالوثائق هي كلمة : الدبلوماسيت، ويقصد بها : الشخص المختص بالوثائق، أو الذي يتولى العمل فيها، وهو ما يعرف اليوم بـ : الموثق، أي وثائقي .

وفي نهاية القرن السابع عشر وضعت قواعد ذلك العلم في أوروبا عندما رجع بعض العلماء إلى الوثائق المحفوظة في الأماكن المعروفة عندهم باسم : "الأرشيف" أو "دور المحفوظات" فدرسوها وأخضعوها لمناهج النقد الخارجي والنقد الداخلي معاً .

وقد أراد عدد من المؤرخين في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي . البحث عن الوثائق العربية لاستخدامها في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية تطبيقاً للمناهج الأوروبية السابقة. فكان محتملاً عليهم أن يبحثوا عن الوثائق الأصلية. لكنهم لاحظوا أنه لم تكن هناك عناية بحفظ الوثائق وترتيبها في الدول الإسلامية المتعاقبة خلال العصور الوسطى، كما كان عليه الحال في الدول الأوروبية، وربما كان هؤلاء المؤرخون الذين بحثوا عن الوثائق العربية ودور الوثائق في العالم الإسلامي، قد تأثروا في أحكامهم بدراساتهم السابقة للظروف التي نشأ فيها علم الوثائق في أوروبا<sup>(١٧)</sup> .

وظهر مصطلح الأرشيف Archives . ويعني الهيئة التي تتولى مهمة حفظ الوثائق والسجلات والقيود والدونات بصورة منتظمة، سواء أكانت صادرة عن مؤسسة عامة أو شبه عامة. أو سواء أكانت دائرة أعمال أم هيئة خاصة، وكذلك الدوائر والمصالح والشركات الحكومية التي تقوم بتسيير الأعمال المتصلة بشئونها وحفظها وحفظ ما يخص تاريخ الإنسان<sup>(١٨)</sup> .

وأصل كلمة (أرشيف) مشتق من الكلمة اليونانية (أرخيون) و (أرشيون)، وتطلق على سجلات الحكومة ووثائقها، أي : الأرشيف الحكومي<sup>(١٩)</sup>، وشاع استعمال الأرشيف في أغلب لغات العالم، وصار علماً قائماً بذاته أطلق عليه : أرشيفولوجي Archivology . واستعملت لفظة أرشيف في اللغة العربية، نظراً لشيوع استعمالها في لغات العالم، ولدلالاتها اللغوية والاصطلاحية، وحداثة الدراسات والتنظيمات الوثائقية، وكان معظم ما كتب عن هذا العلم باللغات الأجنبية<sup>(٢٠)</sup> .

أما المجموعة الأرشيفية فهي تعني مجموعة الوثائق ذات الوحدة العضوية، التي تتوفر فيها شروط محددة من أهمها : أن تكون نتاجاً لإدارة ذات شخصية اعتبارية سواء كانت أوراقاً خاصة بوزارة أو مصلحة أو شركة أو مؤسسة . على أن تحتفظ تلك الأوراق بنفس الترتيب والتسلسل الذي نشأت به في الوحدة الأم، دون حدوث خلل في هذا الترتيب .

أما الوثائق الخاصة فهي مجموعة الوثائق التي يمتلكها الأفراد أو الأسر، لذا لا تعد مجموعة أرشيفية، لأنها ليست نتاج إدارة ذات اعتبار، كما أنها تفتقد عنصر الترابط العضوي، والوثائق المتنوعة هي مجموعة أوراق تتناول مواضيع مختلفة ومتباينة جمعت من جهات متعددة كجزء من جهود المسؤولين في مراكز الوثائق، التي تهتم بجمع هذه المجموعات وحفظها على الرغم من تباينها بهدف إعدادها للبحث، ويعد هذا الهدف الفيصل بين ما يحفظ في المصالح الحكومية لأغراض إدارية، وما يحفظ في مراكز الوثائق لغرض البحث والدراسة<sup>(٢١)</sup> .

## علم الوثائق العربية

لقد نوهنا إلى أن عدداً من المؤرخين بحثوا عن الوثائق العربية ودور الوثائق في العالم الإسلامي، وأنهم تأثروا في أحكامهم بسابق دراستهم للظروف التي نشأ فيها علم الوثائق في أوروبا، وذلك للتمييز بين الصحيح والزائف من الوثائق، أي أن هناك حاجة قانونية هي التي دفعت إلى وضع قواعده في أوروبا، فكان لابد من الرجوع إلى الوثائق الأصلية،

لإخضاعها لنهاج النقض الخارجي والداخلي ، ثم انتقل علم الوثائق إلى ميدان التاريخ ، وأصبح أحد العلوم المساعدة له .

وعلى الرغم من وجود العقبة السابقة ، فإن ذلك لم يمنع البعض من المستشرقين أن يحاول وضع قواعد علم الوثائق العربية ، من ذلك ما قام به جروهمان اعتماداً على مجموعات البردي التي نشرها ، وأراد أن يستنبط منها تصنيفاً كاملاً للوثائق العربية وأحكام كتابتها وأجزائها وأشخاص الوثيقة وعلامات الإثبات . كذلك قام المستشرق بجوركمان بمحاولة مماثلة ، إذ نشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية مقالاً تحت عنوان : "ديبلوماتيك" ، حاول فيه أن يضع أسس علم الوثائق العربية . لكنه اعتمد في مقاله اعتماداً شبه كامل على مصدر واحد هو كتاب : صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي المتوفى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨ م .

وعقب صدور مقالة بجوركمان ، نشر المستشرق الفرنسي كلود كاهين أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة السوربون بحثاً نقده فيه المحاولتين اللتين قام بهما جروهمان وبجوركمان لوضع قواعد علم الوثائق العربية ، لأن كلا منهما اعتمد على مصادر معدودة في دراسته ، وأشار إلى وجود مصادر أخرى مهمة جداً لا بد من دراستها قبل وضع قواعد هذا العلم .

قسم الأستاذ كاهين تلك المصادر إلى قسمين :

#### ١ - قسم يتعلق بالوثائق العامة **Acte Public** :

وهي الوثائق التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء والدواوين الأخرى التي نشأت في العالم الإسلامي في مختلف العهود ، مثل : ولاية العهود وتعيين الوزراء والقضاة والمحتسبين ووثائق الإقطاع ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين القوى الإسلامية وبين الدول الأخرى ، والمعاهدات المعقودة بين الطرفين .

وحفظت لنا بعض كتب التاريخ وبعض كتب الإنشاء صوراً لتلك الوثائق ، وعلى الرغم من أن الذين نقلوا هذه الصور عن مصادرها الأصلية حذفوا منها أجزاء عدوها غير مهمة . مثل : صيغ الافتتاح وصيغ الانتهاء والتواريخ وعلامات الإثبات ، إلا أنه عن

طريق مقارنة هذه الصور بالمؤلفات التي قصد بها تعليم الكتاب فن الإنشاء أو الكتب الفنية الأخرى، يمكننا إلقاء كثير من الضوء على قواعد كتابة الوثيقة العامة .

٢ - القسم الثاني من المصادر هو مجموعة المؤلفات في "علم الشروط" وما يتصل به من علم المحاضر والسجلات، وحفظت لنا دور الكتب العامة والخاصة في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي عدداً من هذه المؤلفات<sup>(٢٣)</sup> .

أثار الأستاذ سالم الألوسي<sup>(٢٣)</sup> تساؤلاً صيغته : هل عرف العرب والمسلمون علم الدبلوماسية ؟ وهل تحققت لديهم مساهمات ومنجزات في هذا العلم ؟

وفي معرض إجابته عن هذا التساؤل ذكر أنه أطلق على الدبلوماسية اسم : "علم تحقيق الوثائق" . وكانت هنالك صعوبة بالغة في إيجاد كلمة مناسبة دالة معبرة ومطابقة تماماً لما تعنيه لفظة "الدبلوماسية" في لغاتها الأوروبية . كما ذكر أنه تريت كثيراً فيما يراه بعض الباحثين الأوروبيين في أن علم الدبلوماسية كان معروفاً عند العرب والمسلمين وشائعاً في مآثوراتهم الأدبية والفقهية والتاريخية وكتب الإنشاء تحت اسم : "علم الشروط" . وهي تنتظر جهود المخلصين لرصدها وجمعها واستخراجها من بطون الكتب ، ومن ثم دراستها دراسة نقدية وفق منظور علمي حديث وفي ضوء الدراسات المنهجية والقواعد الموضوعية لهذا العلم مستفيدين من تجارب الأمم الأخرى .

ولكون أصول هذا العلم جاءت متفرقة مبعثرة في العديد من الكتب والمصادر، فإن إيراد بعض الأمثلة قد يفيد في رسم الخطوط العامة له . وفي هذا المجال يمكن القول أن أقدم عملية دبلوماسية تتمثل في تدوين القرآن الكريم واعتماد نسخ موثقة وزعت على الأمصار، وكذلك جمع وتدوين الحديث النبوي الشريف .

وفي الآونة الأخيرة نشر أحد الأساتذة العرب<sup>(٢٤)</sup> بحثاً قيماً وجه فيه الأنظار إلى جهود فريق من علماء أوروبا من المتخصصين في الدراسات الإسلامية ممن تصدوا لمعالجة هذا الموضوع ودراسته موجهين الأنظار إلى حقيقة مهمة، هي أن علم الدبلوماسية كان معروفاً لدى العرب والمسلمين باسم : "علم الشروط" . وقد تكون كلمة الوثائق Charter أو Charte مشتقة من لفظة (الشرط) العربية ومنحدرة عنها، ومن أبرز العلماء الذين تصدوا لهذا الموضوع : كلود كاهن، بيوركمان، قره باجيك، جروهمان، بيل، بيكر، ديتريش وآبوت .



ومن هنا يجب إعادة النظر - من وجهة دبلوماسية - في تاريخنا العربي الإسلامي .  
وعلى الخصوص تاريخ الوزارة وتاريخ الدواوين وواجباتهما في العصرين الأموي والعباسي<sup>(٢٥)</sup>

## أثر علم الشروط في تكوين علم الوثائق العربية

تشكل المؤلفات الخاصة بعلم الشروط القسم الثاني من المصادر الإسلامية التي تبحث في الوثائق، ولأهمية هذه المؤلفات سوف نستعرض بداية ظهورها وأبرز من ألف فيها من العرب والمسلمين .

ظهر هذا العلم في المدرسة الحنفية في بغداد منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وأول من صنف فيه هلال بن يحيى البصري المتوفى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وأبو زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنفي الذي ألف فيه ثلاثة كتب كبير وصغير ومتوسط ويحيى بن بكر الحنفي وبكار بن قتيبة والإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري المتوفى عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م . وأقدم ما هو موجود لدينا من المؤلفات في علم الشروط كتاب : (الجامع الكبير في الشروط) لأبي جعفر الطحاوي . واستمر التأليف في كتب الشروط في العصور التالية - كما سنوضح .

كان ظهور هذا العلم ناشئاً بسبب الحاجات العملية اليومية، فنحن نعلم أن القرآن الكريم نص على ضرورة الدين، كما جاء في قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم . لله ما في السماوات وما في الأرض . . . والله على كل شيء قدير"<sup>(٢٦)</sup> .

لكن الفقهاء اختلفوا فيما بعد حول تفسير هذه الآيات، وهل الأمر الوارد فيها أمر واجب أم مندوب .

نحن نعلم أن النظرية الفقهية الإسلامية كانت لا تجيز الاعتماد على الوثيقة المكتوبة، كوسيلة للإثبات عند قيام الدعاوى وطلب البينات، وإنما يتم الإثبات عند القاضي عن طريق شهادة الشهود واليمين. وكان جمهور قضاة المسلمين يرفضون الاعتماد على الوثيقة المكتوبة بغية إثبات الحقوق. خوفاً أن تكون الوثيقة قد تعرضت للتزوير. وعلى الرغم من ذلك فإن الحاجات العملية اليومية كانت تحتم إثبات تصرفات الأفراد القانونية بالكتابة، بسبب أن ذاكرة الشهود لم تكن تتسع إلى تذكر التفاصيل كافة عند تنازع الأطراف ذات العلاقة أمام القاضي.

ومع نشأة الحاجة إلى تسجيل تلك التصرفات بالكتابة. كان لابد من إيجاد قواعد محددة يلتزم بها كاتب الوثيقة، على أن تصاغ كل عبارة لتدل على معنى قانوني محدد، لهذا اتخذ الشرطيون الحيلة والحذر على قدر ما يسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتركيب الصيغ الفقهية بحيث تدون وهي على غاية في الدقة، لأن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة عند تقديمها إلى القاضي.

ونتيجة الاهتمام بالحاجات العملية اليومية والاستجابة لوضع القواعد والحلول اللازمة لها. صار علم الشروط هو العلم الذي يبحث في تركيب تلك الصيغ وفي انتقاء الألفاظ المناسبة<sup>(٢٧)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن علم الشروط صار يعني تدوين الأوامر والتعليمات والصيغ والشروط التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع، فأصبحت بمثابة قواعد وقوانين فقهية وشرعية لابد من الالتزام بها في حل المشاكل والخلافات وتوضيح ما غمض وأبهم من الاختلافات التي تحصل يومياً، فدونت في كتب الفقه وخصوصاً الحنفي منها، وأصبحت تشكل الدعامات الأساسية لعلم الوثائق العربية، أي أنها وثقت واعتمدت في التطبيق العملي من قبل الفقهاء لحسم وحل النزاعات والخلافات بين أفراد المجتمع. وأصبحت بمثابة قوانين ودساتير مطبقة فعلاً لحل تلك المشكلات شرعياً وفقهياً بأسلوب لغوي بلاغي واضح الألفاظ.

وبهدف إجلاء الصورة الواضحة لعلم الشروط، نورد أدناه أبرز التعريفات لهذا العلم. فقد عرفه حاجي خليفة<sup>(٢٨)</sup> بما يلي: "وهو علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام

الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه وبعضها من علم الإنشاء وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية .

وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع . وقد يجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين الألفاظ<sup>(٢٩)</sup> .

وأوضح الأستاذ محمد بن علي الأكوخ الحوالي<sup>(٣٠)</sup> الشروط بقوله : "جمع شرط وهي الوثائق وسجلات المعاملات كالبيصائر وورق الأجائر والأحكام وغيرها من العقود"، ويضيف الأكوخ أنه يحتفظ بمجموعة قديمة منها يعود بعضها إلى عهد الهمداني مؤلف صفة جزيرة العرب والإكليل، وهو من رجال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأخرى تعود إلى عهد يسبق عهد الهمداني، وذكر أنه ثبت تلك الشروط في بعض مؤلفاته .

ووصف روعي أوزجان<sup>(٣١)</sup> كتاب الشروط الصغير للطحاوي بقوله : "هو كتاب فقهي خلافي ، فيما عدا العبادات، يستعرض أقوال أعلام الفقه الإسلامي إلى أوائل القرن الرابع الهجري، مع الأدلة، وما ترجح عنده من المذاهب المنقولة، أو عن طريق الاستنباط المباشر ورسم الشروط التي تكتب في المعاملات الالتزامية مع ذكر الجانب النقلي والعقلي فيها" .

وبعبارة موجزة، فهو تأليف في الفقه الخلافي وكتابة العدل، معاصر من جهود القرون الأربعة الأولى للهجرة .

وهكذا يتضح لنا جلياً أن علم الشروط هو العلم الذي يبحث في الخلافات الفقهية بين المسلمين، وهي الخلافات المتعلقة بالمعاملات والحاجات العملية اليومية، وهي خلافات اعتيادية تنشأ في التعامل والاحتكاك اليومي بين أفراد المجتمع، ووظيفة هذا العلم وضع الشروط التي تؤكد الالتزام بقواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية المرتبطة بالاحتكام إلى كتاب الله الكريم القرآن العزيز وسنة الرسول الكريم محمد (ص)، وجهود الفقهاء من خلال فكرهم خلال القرون الإسلامية الأولى وحتى عصر المؤلف الذي ألف كتابه في الشروط الفقهية .

وارتبط بعلم الشروط علم آخر، هو : علم المحاضر والسجلات ، وهو العلم الذي يدرس الصيغ اللازمة لكتابة الحكم الذي أصدره القاضي في الدعوى وإثباته في السجلات التي يحتفظ بها عنده في ديوانه<sup>(٣٢)</sup> ، وتعد المحاضر والسجلات من ضمن الشروط وليست شيئاً مستقلاً عنها<sup>(٣٣)</sup> .

أصبحت الشروط صيغة سائدة معمولاً بها في مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية ، فكان لكل مدينة شروطها المرتبطة بها في التعامل ، وهي بلا شك وثائق مدونة مطبقة في المعاملات اليومية بين الناس ، وقد وصف لنا الهمداني<sup>(٣٤)</sup> أهل صنعاء وأبرز ما اشتهروا وعرفوا به ، إذ يقول : "ولهم الشروط دون غيرهم ، ولا يكون لفقيه من أهل الأمصار شرط إلا ولهم أبلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنى وأقرب اختصاراً" . وزودنا ابن الفقيه<sup>(٣٥)</sup> بصورة من صور التعامل لأهل هجر في شروطهم ، إذ يقول : "وأهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أي بحدودها" .

ونستنتج من هذا الوصف أن الدور كانت تباع في هجر وهي مصورة ، أي فيها تحديد ، وهو ما معمول به الآن في دوائر الطابو ، إذ تحدد حدود الدار بمرسم يوضح أبعادها وتعطى أرقام الدور المجاورة لها أو الشوارع التي تقع عليها ، ويحدد شكلها وفق خارطة واضحة الحدود والمعال .

احتوت كتب الشروط نماذج كثيرة من المعاملات والمسائل الفقهية التي يمكن تقسيمها إلى قسمين : المسائل الرئيسية والمسائل الجانبية التي تنتظم تحت الأولى من حيث الأصول ، ويمكن وصف كتاب الشروط الصغير للطحاوي ، إذ أعطى نموذجاً لتحرير الشروط في القسم الأول منه ، ولم يفعل ذلك في القسم الثاني دائماً ، بل اكتفى بالتنبيه على الاستغناء بما هو مذكور عن غيره . كما اتصف بمنهج واضح في كتابة (الشروط) يتعلق بتقرير القواعد العامة ، فهو يذكر ما كتبه الشروطيون المتقدمون من الشروط مع الأدلة ، ويجري مقارنة بينها بصورة موضوعية ، ثم ينتهي إلى قاعدة عامة شاملة ، قد تكون في أكثر الأحيان وليدة القياس على ما هو مجمع عليه ، لذلك كان مذهبه في الشروط مفضلاً على المذاهب الأخرى<sup>(٣٦)</sup> .

ويحسن بنا إعطاء القارئ الكريم فكرة عن مقدمة الإمام الطحاوي لكتابه الشروط الصغير ، موضحاً فيها دوافع تأليفه ، إذ يقول : "بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر

يا كريم . قال أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي ، وسمعتَه في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثمائة بفسطاط مصر<sup>(٣٧)</sup> يقول : أما بعد حمداً لله عز وجل ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة على محمد عبده ونبيه وأمينه على وحيه ورسوله إلى كافة خلقه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، كما ينبغي الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله أجمعين وسلم تسليماً ، فإن الله عز وجل قد قال في كتابه في الديون الآجلة التي تجب لبعض الناس على بعض "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه"<sup>(٣٨)</sup> فأمرهم بكتابة ذلك . ليكون تحصيناً لأموال الطالبين . ولأديان المطلوبين منهم . . . ."<sup>(٣٩)</sup> .

ونستنتج من مقدمة الطحاوي لكتابه الشروط أن ظهور علم الشروط كان بسبب الحاجات العملية اليومية ، ومنها الديون التي تتم في التعامل بين الناس في المجتمع . فضلاً عن المعاملات اليومية والحياتية الأخرى كالبيع والشراء والإيجار والاستئجار والوقف والوصايا والمواريث والزواج والطلاق والإرث . . . .

وفي كتاب الشروط الصغير للطحاوي نماذج متنوعة من المعاملات ، وردت في مفردات وعناوين كتابه . منها كتاب البيوع (ص ٤ - ١٥) . وباب ما يكتب في الضمان بين البائع والمبتاع (ص ٨٩) . باب ابتياع الرجل الدار والرجلين ومن أكثر منهما (ص ١٠١ - ١٠٣) . باب ابتياع الرجلين وأكثر منهما من رجل واحد داراً في صفقة واحدة (ص ١٠٩) . باب ابتياع الدار إلا منزلاً أو بيتاً منها (ص ١١٣ - ١١٦) ، باب أشربة (جمع شراء) الدور إلا الطرقات التي لغيرها فيها (ص ١٢٣) . وتضمنت هذه الفقرات مداخلات وتعليقات من كتاب الشروط الكبير للطحاوي نفسه . أنظر مثلاً : ص ٩٠ - ٩٩ .

وطبع كتاب الشروط الكبير بهامش كتاب الشروط الصغير للطحاوي . فهو ذيل عليه تضمن ما عثر عليه في كتاب الشروط الكبير ، فقد ورد على ص ٣١ ما نصه : "وقال المصنف : رحمه الله في الكبير أثناء الكلام على رسم كتاب الشروط : فأول ما نذكر من ذلك الكتب في الأشربة (جمع شراء) والبياعات على النحو الذي وصفنا إن شاء الله" .

كتاب رجل اشترى من رجل داراً ص ٣١ - ٧٧ .

باب شرّي الأعمى وبيعه ص ٧٧ - ٧٨ ثم التعليقات الطويلة .

باب شرّي الأخرس وبيعه ص ٨٠ - ٨١ ثم التعليقات الطويلة .

باب بيع الجماعة من الواحد والواحد من الجماعة ص ١٠٤ - ١٠٨ .

باب ضمان تسليم المبيع إلى المبتاع ص ١١١ - ١١٢ .

باب شرّي الدار إلا بيتاً منها سفلأً وعلوأً ص ١٢٠ - ١٢٢ .

هذه نماذج من كتاب الشروط الصغير وبهامشه كتاب الشروط الكبير للإمام الطحاوي سقناها ليطلع القارئ الكريم على مضمون كتب الشروط وطبيعة اهتمامها بشئون المعاملات اليومية بين أفراد المجتمع .

كما أورد الأستاذ محمد خضر<sup>(٤٠)</sup> أمثلة للنماذج التي أوردها الشروطيون للوثائق المختلفة، تبين أهمية دراسة هذا العلم عند دراسة علم الوثائق العربية، منها نموذج أورده الطحاوي لوثيقة بيع دار. وهناك أنواع أخرى من البيوع اجتهد الشروطيون في وضع عباراتها وألفاظها. مثل بيع الرقيق وبيع السلم وبيع الدواب وبيع الثمار وغيرها. وأورد نموذجاً من الأندلس لبيع الرقيق .

## مؤلفات العرب والمسلمين في علم الشروط

لم يكن أبو جعفر الطحاوي هو أول من ألف في علم الشروط، وإنما سبقه عدد من الشروطيين ذكرهم في كتابه. كما عاصر الطحاوي عدداً من الشروطيين كان منهم : بشر بن الوليد الكندي الحنفي المتوفى عام ٢٣٨هـ / ٨٥٢م ونقل عنه الطحاوي في كتابه الشروط الصغير، وإبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي المتوفى عام ٢٣٨هـ، وهلال بن يحيى بن مسلم البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م، وهو أول من صنف في الشروط، ونقل الطحاوي عنه كثيراً في كتابه هذا، وعبد الحميد بن عبد العزيز أبو خازم القاضي المتوفى عام ٢٩٢هـ / ٩٠٥م<sup>(٤١)</sup> .

وأورد حاجي خليفة<sup>(٤٢)</sup> قائمة طويلة ذكر فيها المؤلفين في علم الشروط، بعد أن خصص عنواناً : (علم الشروط والسجلات). ذكر فيها أن أول من صنف في هذا العلم



هلال بن يحيى الرازي البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٥هـ، ولأبي زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنفي ثلاثة كتب : كبير وصغير ومتوسط، ويحيى بن بكر الحنفي، ولأبي جعفر أحمد بن محمد الإمام الطحاوي المتوفى عام ٣٢١هـ / ٩٣٣م في أربعين جزءاً، أوله : أما بعد حمداً لله عز وجل . . الخ وله الشروط الصغير في خمسة أجزاء والشروط الأوسط .

ذكر أوزجان<sup>(٣)</sup> أن دور النضج والكمال لفقه الشروط بدأ بممارسة الطحاوي كتابة الشروط، واستمر حتى وفاته، واستعرض حياته تفصيلاً والذي يهمننا منها بروزه وشهرته العلمية في مجال التأليف، وعلى وجه الخصوص في علم الشروط، وذكر إشادة المؤرخين بجهوده في هذا المجال، إذ عاصر الطحاوي عدداً من الشروقيين وبرز بينهم وتفوق عليهم منذ شبابه حتى على شيوخه، وشهد له بذلك أهل الشأن، فوصف بأنه كان وجيه النقد في الشروط والسجلات والشهادات، وكان بارعاً في علم الشروط، رسم وطبع خبراته ونتائج تجاربه في الكتب التي ألفها في الشروط .

ألف الطحاوي في الشروط : كتاب الشروط الكبير، وكتاب الشروط الأوسط، وكتاب الشروط الصغير، ومن المؤسف أنه لم يصلنا شيء من كتاب الشروط الأوسط، ووصلنا شيء غير يسير من الشروط الكبير، ووصلنا الشروط الصغير كاملاً دون أي نقص .

ألف الطحاوي كتابه الشروط الكبير أولاً، ثم ألف كتابه الشروط الصغير، وذكر في أوله أنه بدأ به عام ٣٠٥هـ / ٩١٧م، ولا نعرف هل ألف الأوسط قبل الصغير أم بعده، وكان الطحاوي أكثر دقة في الشروط الصغير منه في الكبير، لأنه استوعب المسائل الفقهية وعناصر فقه الشروط، ثم تطرق إلى جزئيات وتفصيل تعبيرية في الشروط الصغير أواخر عمره<sup>(٤)</sup> .

ومن مؤلفي كتب الشروط والمتخصصين فيه ممن ذكرهم حاجي خليفة<sup>(٥)</sup> آخرون، هم : أبو نصر الدبوس، والحاكم أحمد بن محمد السمرقندي الحنفي المتوفى عام ٤٩٣هـ / ١١٠٠م، له كتاب أوله : الحمد لله الملك العلام، رتبه على أربعة وعشرين فصلاً، وشمس الأئمة الحلواني له كتاب سماه البسيط، أوله : الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره، وجلال الدين بن محمد العمادي له كتاب أوله : الحمد لله الذي وتد الأرض بالأعلام المنيفة . . . . ولصاحب المحيط برهان الدين عمر بن مازة الحنفي .

ولجده الحاكم الشهيد، ولظهر الدين حسن بن علي المرغيناني، ولأبي بكر أحمد بن علي المعروف بـ : الخصاف الحنفي، ولمحمد بن أفلاطون الرومي البرسوي الشهير بـ : أفلاطون المتوفى عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م وكان مقدماً فيه، ولهلال بن يحيى الرائي البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٩هـ / ٨٦٣م<sup>(٤٦)</sup>، ذكر الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة أن الشروط لم يسبقه إليه أحد . وأجاب أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في رده بأن النبي (ص) أول من أملى كتب العهود والمواثيق، منها : عهده لنصارى أيلة بخط علي بن أبي طالب (رضي) .

واستقصى محمد بن جرير الطبري الشروط في كتاب على أصول الشافعي، وسرق أبو جعفر الطحاوي من كتابه ما أودعه كتابه وأوهم (وأخبرهم) أنه من نتيجة أهل الرأي ثم جاء بعده شيخ الشروط والمواثيق أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي فصنف في أدب القضاء والشروط والمواثيق . وممن صنف في الشروط المزني أملى فيه كتاباً جامعاً، وأبو ثور وكتابه فيها مبسوط، وأبو علي الكرابيسي وبين في تأليفه ما وقع في كتب أهل الرأي من الخلل في شروطهم، وداد بن علي الأصبهاني وشرح في كتابه أصول الشافعي وذكر ما عابه على يحيى بن أكثم من الشروط وابنه أبو بكر وزاد على أبيه أبواباً وفصولاً . ومثله أبو عبد الرحمن الشافعي .

ذكر حاجي خليفة<sup>(٤٧)</sup> مؤلفات أخرى في علم الشروط نسبها إلى مؤلفيها، نوردها أدناه إتماماً للفائدة وزيادة في المنفعة العلمية، هي :

= شروط ابن بهرام المسمى بـ : مناط الأحكام .

= شروط الأحكام لابن عبدان .

= شروط الأكرمي وهي ثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز للإمام شمس الدين

الأكرمي، أول بسيطه : "الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره . . الخ"<sup>(٤٨)</sup> .  
وألحق بها النيات في الصلاة وخطب الجمعة والعيدين والنكاح والأدعية المأثورة.

= شروط الأئمة : أي المخرجين الذين شرطوا الرواية عن الراوي، لأبي بكر محمد

بن موسى الحازمي الهمداني المتوفى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م<sup>(٤٩)</sup>، ولأبي الفضل محمد بن طاهر ذكره العراقي في شرح الألفية .

= شروط صدر الشريعة - عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة المتوفى عام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م .

= شروط الفتوى؟! (٥٠) .

في بحثه عن علم الشروط ذكر الأستاذ محمد خضر (٥١) عدداً من الشروقيين الذين ألفوا في هذا العلم، ممن سبقوا الطحاوي في هذا المجال، منهم : أبوزيد الشروقي وهلال بن يحيى الرائي المتوفى عام ٢٤٠ هـ / ٨٥٩ م، وبكار بن قتيبة وغيرهم .  
وذكر الأستاذ الألوسي هؤلاء المؤلفين الذين سبقوا الطحاوي في التأليف في علم الشروط، وذكر أن شيخ الشروط والمواثيق أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي صنف كتاباً في أدب القضاء والشروط والمواثيق (٥٢) .

وهكذا يتضح لنا بجلاء جهود علماء العرب والمسلمين التي سخروها في مجال تأليف كتب الشروط خلال مرحلة زمنية طويلة تمتد منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي واستمرت حتى القرون المتأخرة، مما يدل على أهمية هذا العلم والتأليف فيه خدمة للمجتمع العربي الإسلامي، فأصبحت وثائق مهمة لحل الخلافات الحياتية، فهو علم يبحث في الفقه الخلافى وكتابة العدل، وصار أهم أسس علم الوثائق العربية، الذي عرف في العصور الحديثة ب : علم الدبلوماسية أو : علم الأوراق المطوية .

## ١ - مساهمة علماء الأندلس في علم الشروط

أصبح علم الشروط علماً مرتبطاً بحياة المسلمين اليومية، وقد ذكرنا أن هذا العلم نشأ عن الحاجات العملية اليومية، فقد نص القرآن الكريم على ضرورة كتابة الدين وتوثيقه بكتابه وشهادة الشهود، لذلك وصف علم الشروط بأنه فرع من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع، وجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين الألفاظ، فهو علم يهتم جداً بتثبيت الأحكام في الكتب والسجلات، فكانت كتب الشروط تأليفاً في الفقه الخلافى وكتابة العدل، وهكذا مارس الشروقيون أعمالهم على أرض الواقع، من خلال مؤسسات القضاء والأحكام التي استدعت أن يعمل فيها من كان ذا إلمام بمسائل

الفقه وحفظ الشروط الفقهية والأحكام وعقد الشروط، وهذه الأنشطة اليومية كانت واسعة وحية تمارس يومياً . وتولى رجال الدين والفقهاء العمل فيها انطلاقاً من تحقيق العدل الذي أكدته الشريعة الإسلامية، بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وجهد الفقهاء من خلال فكرهم الديني الإسلامي الذي يعتمد الرأي والقياس والاستنباط والاجتهاد .

ذكر حاجي خليفة<sup>(٥٣)</sup> أن النبي محمد (ص) أول من أملى كتب العهود والمواثيق، منها عهده لنصارى ايلة بخط علي بن أبي طالب (رض) . وسار الخلفاء الراشدون على هدي رسول الله (ص) وسنته في عقد العهود والمواثيق مع سكان المناطق المحررة والمفتوحة، وحل مشاكلهم وتحقيق العدل والمساواة في المجتمع العربي الإسلامي الجديد استناداً إلى كتاب الله وسيرة رسوله الكريم (ص) .

أصبحت كتب العهود والمواثيق بمثابة وثائق مدونة ترجمها الفقهاء في مؤلفاتهم وأخذت شكل الشروط كما في كتابي الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المتوفى عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي المتوفى عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. فضلاً عما ورد في كتب الأموال والأحكام السلطانية كما أشرنا إلى أن أقدم عملية توثيق (دبلماتيك) تمثلت في تدوين القرآن الكريم وتدوين الحديث النبوي الشريف، وتبع ذلك الاهتمام بالمؤسسات الإدارية والخدمية مثل الوزارة بنوعيتها التفويض والتنفيذ، فضلاً عن الدواوين وأبرزها : ديوان الرسائل، التوقيع، الخاتم، وكان لديوان الرسائل (ديوان الإنشاء) أهمية كبيرة في حفظ العهود والمواثيق والالتزامات المتنوعة، وأصبح مصدراً مهماً من مصادر حفظ الوثائق العربية عبر العصور التاريخية المختلفة .

عمل عدد كبير من علماء وفقهاء الأندلس في عقد الشروط والعلم بها وحفظها والتأليف فيها. مما يدل على أهمية علم الشروط والتخصص فيه والعمل بعد الدراسة والتخرج في مجالات عديدة لتمشية المعاملات الفقهية المتعلقة بالحاجات اليومية العملية المرتبطة بحياة الناس، ولأجل الاطلاع على ما وصل إليه هذا العلم في بلاد الأندلس. نورد أدناه نماذج من تراجم عدد من الرجال العاملين في مجال علم الشروط وفروعه، معتمدين على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي المتوفى عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م . وهذه التراجم مرتبة على قسمي الكتاب الأول والثاني وحسب تسلسلها .

١ - أحمد بن هلال بن زيد العطار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، ولد في شهر رمضان عام ٢٧٢هـ / ٨٨٥م، رحل فسمع من محمد بن زيان الحضرمي ومحمد بن الربيع الجيزي وعلي بن ياسر وجماعة سواهم، وكان حافظاً للشروط نبيلاً في الرأي على مذهب أصحاب الإمام مالك، وكان مفتياً في السوق بقرطبة .

توفي رحمه الله ليلة الخميس ودفن يوم الخميس في عقب صفر عام ٣٦٤هـ / ٩٧٤م - في مقبرة متعة، وصلى عليه القاضي ابن إسحق بن السليم، وكان قد نيف على التسعين<sup>(٥٤)</sup> .

٢ - إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مطرف النصري :

من أهل استجة، يكنى أبا بكر، سمع من أبيه ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ، وكان حافظاً للخبر متصرفاً في علم اللغة والنحو والشعر والطب، وكان شاعراً مطبوعاً ومرسلاً بليغاً مع مشاركته في حفظ الرأي وعقد الشروط . توفي في استجة في شعبان عام ٣٧٠هـ / ٩٨١م<sup>(٥٥)</sup> .

٣ - حفص بن حسن :

من إقليم لورة من كورة قرمونة، سمع من محمد بن يوسف بن مطروح بن يحيى بن راشد . وكان مفتياً ببلده عاقداً للشروط<sup>(٥٦)</sup> .

٤ - عامر بن يزيد :

من أهل قرطبة، سمع من عبيد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة ومحمد بن وليد، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الشروط، توفي رحمه الله عام ٣١٨هـ / ٩٣٠م<sup>(٥٧)</sup> .

٥ - فرج بن سلمة بن زهير بن مالك البلوي :

من أهل قرطبة، يكنى أبا سعيد، سمع من محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ ونظرائهم، ورحل فسمع بالقيروان من أبي بكر محمد بن اللباد ومن غيره .

كان حافظاً للرأي على مذهب مالك وأصحابه، عاقداً للشروط، مُشاوِراً في الأحكام، واستتقى على كورة رية ووادي الحجارة<sup>(٥٨)</sup> .

#### ٦ - محمد بن سعيد الموثق، المعروف بـ : ابن الملون :

من أهل قرطبة. يكنى أبا عبد الله. روى عن يحيى بن يحيى وغيره من شيوخ الأندلس .

كان حافظاً لرأي مالك وأصحابه، عالماً بالشروط عاقداً لها، من أبصر الناس بها، وله فيها كتاب شريف هو بأيدي الناس، ولي الشرطة للأمير عبد الله وتوفي في صدر أيامه<sup>(٥٩)</sup> .

نستنتج من ترجمة محمد بن سعيد أنه كان عالماً بارزاً في الوثائق، فعرف بـ : الموثق، وكان عالماً بالشروط وعقدها وله فيها كتاب لم نتعرف على عنوانه، مما يدل على أن هذا العلم أصبح واسع الانتشار في بلاد الأندلس ويحظى برعاية الدولة لعلمائه الذين أسندت لهم وظائف القضاء والفتيا وتولي بعض المناصب الحكومية مثل الشرطة .

#### ٧ - محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله بن عبيد :

من أهل قرطبة. يكنى أبا عبد الله. سمع من العتيبي وغيره . كان حافظاً للفقهاء، عالماً بالشروط، مشاوِراً في الأحكام، متقدماً عند أحمد بن محمد بن زياد القاضي، وكانت للأمير عبد الله به عناية . توفي في النصف من شهر ذي القعدة عام ٣٠٩هـ / ٩٢٢م<sup>(٦٠)</sup> .

#### ٨ - محمد بن يحيى بن عمر لبابة :

من أهل قرطبة وهو المعروف بـ : البُوجون، يكنى أبا عبد الله، سمع من عمه محمد بن عمر ومن غيره .

رحل فسمع بالقيروان من حماس بن مروان، وكان حافظاً للفقهاء على مذهب مالك وأصحابه. عالماً بعقد الشروط. بصيراً بعللها .

توفي يوم الأحد السادس من شهر ذي الحجة عام ٣٣٠هـ / ٩٤٢م، وفي رواية أنه توفي في شهر ذي القعدة عام ٣٣٠هـ<sup>(٦١)</sup> .



٩ - محمد بن أحمد بن محمد بن قاسم بن هلال بن يزيد بن طاهر القيسي :

من أهل قرطبة . يكنى أبا عبد الله ، سمع من عبيد الله بن يحيى وسعيد بن عثمان الأعناقى وسعيد بن خمير وأيوب بن سليمان وطاهر بن عبد العزيز ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد .

كان حافظاً للمسائل متصرفاً في عقد الشروط، حدث وسمع الناس منه كثيراً .  
توفي رحمه الله عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م<sup>(٦٢)</sup> .

١٠ - محمد بن عيسى بن خالد بن أبي عقيل المعافري :

من أهل البيرة، كان عاقداً للشروط، منسوباً إلى الفقه، توفي رحمه الله يوم الخميس ٤ شعبان عام ٣٧٩هـ / ٩٨٩م<sup>(٦٣)</sup> .

١١ - محمد بن يعيش بن منذر الأيدي :

من أهل طليطلة، ويكنى أبا عبد الله، مولده عام ٣٢٢هـ / ٩٣٤م .  
كان فقيهاً حافظاً للمسائل عالماً بالشروط، رأساً في معرفتها، توفي عام ٣٩١هـ / ١٠٠١م<sup>(٦٤)</sup> .

١٢ - مسعود بن عمر بن خيار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، مولده عام ٣٢٢هـ / ٩٣٤م . سمع من أحمد بن مطرف وأبي إبراهيم ومحمد بن يحيى بن عبد العزيز ومحمد بن إسحاق بن السليم وغيرهم، وكتب لمحمد بن إسحاق أيامه على القضاء، وكتب بعده لمحمد بن يبقر، وكتب أيضاً لمحمد بن يحيى .

كان عاقداً للشروط بصيراً بها، وغلبت عليه السوءاء في آخر عمره فانقبض عن الخدمة، توفي يوم الأربعاء ٦ شوال عام ٣٨٩هـ / ٩٩٩م، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر في مقبرة قریش، وصلى عليه إبراهيم بن محمد الشرقي<sup>(٦٥)</sup> .

١٣ - موسى بن أحمد بن سعيد بن حسن اليعصبى :

من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، ويعرف بـ : الودد . سمع من قاسم بن محمد بن قاسم وأحمد بن مطرف ومحمد بن يحيى بن عبد العزيز ونظرائهم .

كان بصيراً بالشروط نبيلاً في عقدها، وكان له حظ في تعبير الرؤيا . كتب لمحمد بن يحيى في الأحكام وتصرف في رفع كتب المظالم، وقدم إلى الشورى، وقد نوظر عليه في الفقه وحَدَّث .

توفي ليلة الخميس لعشر بقين في شهر ربيع الأول عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م، ودفن يوم الخميس في مقبرة بني العباس وصلى عليه القاضي محمد بن يبغي<sup>(٦٦)</sup> .

#### ١٤ - ومن الغرباء : موسى بن يحيى الصديني :

من أهل فاس، يكنى أبا هارون . كان فقيهاً حافظاً للمسائل، عالماً بالرأي، له رحلة بالمشرق لقي فيها أبا جعفر الأسواني المالكي وغيره . دخل الأندلس وتردد في الثغر وكتب عنه هناك .

توفي رحمه الله بمدينة فاس يوم الجمعة يوم عرفة عند ارتفاع الضحى عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م، وهو ابن سبع وسبعين عاماً، وقبره عند باب الجيديين<sup>(٦٧)</sup> .

#### ١٥ - نابغة بن إبراهيم بن عبد الواحد :

من أهل البيرة في قلعة يحصب، روى عن أبي صالح أيوب بن سليمان وسعيد بن حمير وغيرهما، وكان متصرفاً في الفتيا وعقد الشروط، حافظاً للغة والنحو . توفي رحمه الله عام ٣١٣هـ / ٩٢٥م<sup>(٦٨)</sup> .

#### ١٦ - هارون بن بنج بن عثمان بن هارون :

من أهل استجة، يكنى أبا موسى . كان معتنياً بالآثار، مشاركاً في حفظ الرأي وعقد الشروط، وكان شيخاً صالحاً ثقة، لقيته باستجة .

توفي رحمه الله ليلة الاثنين لتسع بقين من شهر جمادى الأولى عام ٣٧٤هـ / ٩٨٤م<sup>(٦٩)</sup>

#### ١٧ - يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب بن مقسم الزهري :

مولى لهم، أصله من البربر، من أهل جيان، رحل فسمع من سحنون بن سعيد وغيره .

كان عالماً بالرأي متفنناً حاذقاً بالكلام في المسائل، عاقداً للشروط، وألف في ذلك كتاباً، وكان كثير الحكاية عن سحنون<sup>(٧٠)</sup>.

١٨ - يحيى بن يحيى المعروف ب : ابن السمينة :

من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، كان متصرفاً في ضروب العلم، متفنناً في الآداب ورواية الأخبار مشاركاً في الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيراً بالاحتجاج والكلام، نافذاً في معاني الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب .  
توفي عام ٣١٥هـ / ٩٢٧م<sup>(٧١)</sup>.

## ٢ - مساهمة علماء الأندلس في علم الوثائق

أشرنا في معرض دراستنا عن علم الوثائق العربية إلى أن علم الدبلوماسية يعني : علم تحقيق الوثائق، أي التحقق من صحتها من خلال إخضاعها لمنهج النقد الخارجي والداخلي، وقد ذكر بعض الباحثين الأوروبيين أن علم الدبلوماسية كان معروفاً عند العرب والمسلمين وشائعاً في مآثوراتهم الأدبية والفقهية والتاريخية وكتب الإنشاء باسم (علم الشروط).

قد تكون كلمة وثائق Charter أو Charte مشتقة من لفظ (شرط) العربية ومنحدرة عنها. لذلك كان لعلم الشروط هذا أثره الواضح في تكوين علم الوثائق العربية، إذ اعتبر الأساس لهذا العلم، وقد ذكرنا أن الشروط هي الوثائق وسجلات المعاملات، وقد عمل في هذا المجال جمهور من العلماء والفقهاء وموظفي الدولة لحفظ هذه الوثائق والحفاظ عليها والرجوع إليها عند الحاجة، وهذا ما يعرف اليوم ب : الأرشفة، أي المكان أو المخزن الذي تودع وتحفظ فيه الوثائق .

كان الاهتمام بالتوثيق والوثائق ماثرة من مآثر تاريخنا وتراثنا العربي الإسلامي الزاخر بالإبداع والتجديد، فترك لنا علماء الأندلس مآثر خالدة من خلال اهتمامهم

بالوثائق وعقدتها وحفظها، وتولى هذه المهام العلماء والفقهاء، ورجال الدين، انطلاقاً من مسئوليتهم الدينية أولاً والفقهية الشرعية ثانياً، لأنها تهم جمهور المسلمين وترعى مصالحهم وتحرص عليها .

وقد زودنا المؤرخ ابن الفرضي الأزدي بنماذج فريدة وخالدة لجمهور من هؤلاء العلماء والرجال الذين برزوا في علم الوثائق وأجادوا فيه، وسوف نورد تراجم هؤلاء حسب تسلسلها وكما يلي :

١ - أحمد بن جبون :

من أهل أكشونية، سمع من محمد بن عمر بن لبابة، وكان صاحب مسائل ووثائق<sup>(٧٢)</sup> .

٢ - جامع بن نوح :

من أهل ربة، كان صاحب مسائل ووثائق، ذكره ابن حارث عن ابن سعدان، ورأيت في كتابه<sup>(٧٣)</sup> .

٣ - سعيد بن خمير بن عبد الرحمن :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عثمان، وفي كتاب محمد بن أحمد بن يحيى القاضي :

سعيد بن خمير بن مروان بن سالم من الموالي، مولده عام ٢٣٠هـ / ٨٤٤م .

رحل إلى المشرق فسمع من يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الله بن صالح ومحمد بن عبد الحكم، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً .

كان يسكن بلاط مغيث فنقله الأمير عبد الله إلى المدينة بقرب المسجد الجامع، فكان يجلس فيه ويحملق إليه، ويفتي ويعقد الوثائق، وسمع منه .

توفي رحمه الله في صفر عام ٣٠١هـ / ٩١٣م<sup>(٧٤)</sup> .

٤ - عفان بن عبد السلام :

من أهل قریش، سمع من أحمد بن خالد وعثمان بن عبد الرحمن ومحمد بن قاسم وأحمد بن زياد، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الوثائق<sup>(٧٥)</sup> .

٥ - عيسى بن محمد بن عيسى بن أيوب المعروف بـ : البجاني<sup>(٧٦)</sup> :

من أهل قرطبة يكنى أبا الأصبع، ويقال له : عيسون، سمع من محمد بن يحيى بن لبابة وتردد عليه، وكتب بين يديه الوثائق حتي فقه فيها ونبل في عقدها، وكان مشاوراً في الأحكام صدرأ فيما يستفتى، وكان مرشحاً لأحكام الشرطة فعوجل دونها . توفي رحمه الله في أحد شهري جمادى عام ٣٥٥هـ / ٩٦٦ م .

#### ٦ - محمد بن عبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة بن عبيد بن مبشر بن لوزان :

من سلامة بن مالك بن الحسحاس، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، روى عن محمد بن وضاح وإبراهيم بن باز وبني هلال ومطرف بن عيش .

كان مشاركاً في الفقه وعقد الوثائق، واختلف في وفاته، فقيل توفي عام ٣٠٩هـ / ٩٢١ م وقيل عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠ م، وقال الرازي : توفي عام ٣١١هـ / ٩٢٣ م<sup>(٧٧)</sup> .

#### ٧ - محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار مولى الوليد بن عبد الملك :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، مولده ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة عام ٢٦٣هـ / ٨٧٦ م . رحل إلى المشرق عام ٢٩٤هـ / ٩٠٧ م، فأقام في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر .

كان عالماً بالفقه، متقدماً في علم الوثائق، رأساً فيها، وكان مُشاوراً في أول أيام أمير المؤمنين الناصر رحمه الله، وسمع الناس منه كثيراً، وكان ثقة صدوقاً، وغزا غزوة الخندق عام ٣٢٧هـ / ٩٣٩ م، فاعتل منصرفاً منها ومات في كركي، وقدم له ابنه قاسم فدفن بقرطبة. وقيل توفي يوم الأحد ٣ ذي الحجة وقدم به قرطبة ودفن يوم الثلاثاء ٥ ذي الحجة في اليوم الثالث من موته وذلك في عام ٣٢٧هـ<sup>(٧٨)</sup>. وورد في ترجمته ذكر علم الوثائق .

#### ٨ - محمد بن عبد الله بن الأشعث القرشي :

من أهل أشبيلية، يكنى أبا عبد الله، شارك علي بن أبي شيبة في الفتيا، وعقد الوثائق، وكانت له رواية عن مشايخ بلده، ذكره محمد بن عمر بن عبد العزيز، وقال أحمد بن حسن : كان شيخاً حافظاً للأخبار<sup>(٧٩)</sup> .

#### ٩ - محمد بن يحيى بن عمر لبابة :

ترجمنا له في رجال علم الشروط (ترجمة رقم ٨)، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، استقضاه الإمام الناصر على البيرة، ثم عزله وولاه في آخر عمره الوثائق. وله في الفقه كتب مؤلفة<sup>(٨٠)</sup>.

#### ١٠ - محمد بن حكم الزياط :

من أهل قرطبة. يكنى أبا القاسم، روى عن محمد بن وضاح وإبراهيم بن محمد بن باز ومطرف بن قيس وعبيد الله بن يحيى وغيرهم. حدث وسمع منه الناس كثيراً. كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، مشهوراً بالعدالة<sup>(٨١)</sup>.

#### ١١ - محمد بن عمر بن دحون :

من أهل قبرة، كان معتنياً بالمسائل حافظاً لها، عاقداً للوثائق، موصوفاً بالخير<sup>(٨٢)</sup>.

#### ١٢ - محمد بن عبد السلام :

من أهل فريش. سمع من الأعنقي محمد بن عمر بن لبابة. كان حافظاً للمسائل. عاقداً للوثائق. مفتياً بموضعه<sup>(٨٣)</sup>.

#### ١٣ - محمد بن عمر بن يوسف بن عمروس :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله، سمع من أبيه عمر بن يوسف ومن غيره. كان حافظاً للمسائل، معتنياً بالمسائل، حسن العقد للوثائق، توفي عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م. أخبرني بذلك ابنه يوسف<sup>(٨٤)</sup>.

#### ١٤ - محمد بن موسى بن أزهر :

من أهل أستجة، يكنى أبابكر، روى عن أبيه وعن عبيد الله بن يحيى. كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، محدثاً.

توفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة عام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م<sup>(٨٥)</sup>.

#### ١٥ - محمد بن عبد الله بن قاسم :



من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله. سمع من محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وعمر بن يوسف بن عمرو وإبراهيم بن داود وغيرهم .

كان حافظاً للمسائل، عالماً بعقد الوثائق، بصيراً بالنحو، ورعاً في الفتيا<sup>(٨٦)</sup> .

#### ١٦ - محمد بن عبد الله بن أيمن البزاز :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. سمع من طاهر بن عبد العزيز وسعيد بن عثمان الأعناقى وسعيد بن خمير وسعد بن معاذ وابن الزراد ومحمد بن عمر بن لبابة .

وكان متصرفاً في الفتيا، وعقد الوثائق، حدث وسمع الناس منه كثيراً، وكان رجلاً صالحاً ثقة<sup>(٨٧)</sup> .

#### ١٧ - محمد بن خالد بن عبد الملك بن خالد :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله، سمع بقرطبة من محمد بن عبد الله بن أبي دليم وغيره .

كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق . توفي يوم ١٠ ذي الحجة عام ٣٧١هـ / ٩٨٢م .

#### ١٨ - محمد بن عثمان بن سعيد :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله، سمع من محمد بن عبد الله بن دليم ونظرائه، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الوثائق، متصرفاً في الفتيا بحاضرة أستجة، توفي بشهر ذي الحجة عام ٣٧١هـ / ٩٨٢م<sup>(٨٨)</sup> .

#### ١٩ - محمد بن عبد العزيز بن يحيى، المعروف ب : ابن الحصار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله . سمع من قاسم بن أصبغ وغيره .

كان عالماً بالوثائق، بصيراً بعلمه، وكان يدلّس فيها وقد عرف بذلك، وكان غير ثقة ولا مأموناً، توفي عام ٣٧٢هـ / ٩٨٢م<sup>(٨٩)</sup> .

٢٠ - منوس بن أحمد بن عفان :

من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد بن حكم وأحمد بن دحيم بن خليل ومحمد بن يحيى .

كان بصيراً بعقد الوثائق عالماً بها، تفقه فيها عند محمد بن يحيى، ووصف بالورع، توفي رحمه الله عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م<sup>(٩٠)</sup> .

٢١ - نعيم بن محمد بن نعيم الحجري :

من أهل أستجة، يكنى أبا العباس، وكان أصله من أشبيلية . كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، وكان صاحباً لأبي صالح أيوب بن سليمان ويكاتبه من أستجة، وصف نعيم بأنه كان فقيهاً حافظاً للمسائل<sup>(٩١)</sup> .

٢٢ - يحيى بن راشد :

من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، سمع من عبد الملك بن حبيب وأبان بن عيسى بن دينار وأبي زيد عبد الرحمن بن نعيم والعتبي .

كان معتنياً بالعلم جامعاً له، حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق مع ورع وزهد، وذكر ابن الفريسي أنه حصل على بعض كتبه بخطه<sup>(٩٢)</sup> .

٢٣ - يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري :

من أهل قرطبة، يكنى أبا زكريا، ويعرف بـ : ابن الجياني . سمع بقرطبة من مسلمة بن القاسم ومحمد بن معاوية القرشي ومحمد بن أحمد الخزاز ونظرائهم، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من أبي عبد الله البلخي كتاب (الضعفاء والمتروكين) لأبي جعفر العقيلي . وسمع من أبي يعقوب الشيباني، ومن الدينوري، وسمع بمصر كتاب مسلم بن الحجاج المسند من أبي العلاء بن ماهان وسمع من عدة من المصريين .

وكان معه حظ من الفقه وعقد الوثائق، وكان حسين النقل ضابطاً، توفي رحمه الله يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر صفر عام ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م، ودفن في مقبرة بني العباس<sup>(٩٣)</sup> .

وهكذا يتضح لنا بجلاء إسهام علماء وفقهاء الأندلس في علم الوثائق، الذي كان مثل علم الشروط مرتبطاً بالفقه وحفظ مسائل الدين والشرع، ونجد من بينهم من ألف الكتب في هذا العلم الذي ورد ذكره صراحة باسم : علم الوثائق، ووصف كثير من رجاله بأنهم ذوو علم بالوثائق ومعرفة بها وعناية بعقدها، والتي تتعلق بالحاجات العملية اليومية للناس، وهي أنشطة توضح جانباً مهماً من جوانب تراثنا العربي الإسلامي في الأندلس في مجال علمي الشروط والوثائق، اللذين يعدان من المآثر المهمة جداً في حياة العرب والمسلمين خلال العصور الإسلامية الوسيطة .

د. محمد كريم إبراهيم الشمري

جامعة عدن - الجمهورية اليمنية

## هوامش وتعليقات البحث

- ١ - القرآن الكريم سورة محمد (٤٧)، آية : ٤ .
- ٢ - سورة المائدة (٥)، آية : ٧ .
- ٣ - ابن منظور . لسان العرب مجلد (١٠)، ص ٣٧١-٣٧٢ .
- ٤ - سورة البقرة (٢)، آية : ٨٣ .
- ٥ - سورة الفجر (٨٩)، آية : ٢٥ - ٢٦ .
- ٦ - سورة المائدة (٥)، آية : ١٣ .
- ٧ - د. حسن عثمان . منهج البحث التاريخي ص ٣٠، ٦٠، عابدين . التوثيق، تاريخه وأدواته ص ٦٣، عبد المنعم . الوثائق ص ٣٣ .
- ٨ - د. أسد رستم . مصطلح التاريخ ص ١ .
- ٩ - المرجع نفسه ص ٣، عبد المنعم . الوثائق ص ٣٣ .
- ١٠ - د. حسن عثمان . منهج البحث التاريخي ص ٧٠، ٧٠، الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص ٣ .
- ١١ - عبد المنعم . الوثائق ص ٣٣ - ٣٤ .
- ١٢ - الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص ٤ - ٥، محمد خضر . علم الشروط ص ١٥٢ .
- ١٣ - عابدين . التوثيق ص ٦٣ .
- ١٤ - محمد خضر . علم الشروط ص ١٥١، الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص ١١ .
- ١٥ - الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص ١٠ - ١١ .
- ١٦ - المرجع نفسه ص ١١ - ١٢، وعن معاني الدبلوما في مجال السياسة ودراسة الوثائق ينظر : المرجع نفسه ص ١٢ - ١٤ .
- ١٧ - محمد خضر . علم الشروط ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- ١٨ - الألوسي . الأرشيف تاريخه وأصنافه ص ١، زروق، خديجة عثمان، الوثائق ودورها في البحث العلمي ص ١١٦ .
- ١٩ - الألوسي، الأرشيف تاريخه وأصنافه، ص ٣ .

- ٢٠ - عبد المنعم، الوثائق ص ٣٥ .
- ٢١ - زروق، الوثائق ودورها في البحث العلمي ص ١١٦ - ١١٧ .
- ٢٢ - محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٣ - ١٥٤، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٧ - ٤٨ .
- ٢٣ - علم تحقيق الوثائق ص ٤٢، وحول تدوين القرآن الكريم والحديث النبوي . ينظر : المرجع نفسه ص ٤٢ - ٤٤ .
- ٢٤ - هو الأستاذ محمد خضر محمد خضر، بحثه بعنوان : "علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية"، مجلة الدارة، العدد (٤) السنة الأولى، (الرياض، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ١٥٠ - ١٦١ .
- ٢٥ - محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٢ - ١٥٣، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٤ - ٤٥، أنظر عن الوزارة بقسميها : التفويض والتنفيذ وكذلك الدواوين وواجباتها خصوصا دواوين الرسائل، التوقيع، الخاتم : المرجع نفسه ص ٤٥ - ٤٦ .
- ٢٦ - القرآن الكريم، سورة البقرة (٢)، الآيات : ٢٨٢ - ٢٨٤ .
- ٢٧ - محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٤ - ١٥٥، أنظر أيضا الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٨ .
- ٢٨ - كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٥ - ١٠٤٦ .
- ٢٩ - محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٥، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٨ .
- ٣٠ - محقق كتاب : صفة جزيرة العرب تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، منشورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، ص ٨٣ هامش رقم (٢) .
- ٣١ - محقق كتاب : الشروط الصغير مذيلا بما عثر عليه من الشروط الكبير، ج ١، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، ص ٣١ مقدمة المحقق .
- ٣٢ - محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٥ .
- ٣٣ - أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج ١ ص ٣٠ .
- ٣٤ - صفة جزيرة العرب ص ٨٣ .
- ٣٥ - مختصر كتاب البلدان ص ٥٧ .
- ٣٦ - أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج ١ ص ٣٠ - ٣١ .
- ٣٧ - هذا دليل على أن الكتاب هو رواية لأحد تلاميذ الطحاوي .
- ٣٨ - سورة البقرة آية ٢٨٢ و راجع هامش ٢٦ .
- ٣٩ - الطحاوي، الشروط الصغير ج ١ ص ٣ .

- ٤٠ - علم الشروط ص ١٥٥ - ١٥٨ .
- ٤١ - أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير ج ١ للطحاوي ص ٢٩ .
- ٤٢ - كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٥ - ١٠٤٦ .
- ٤٣ - مقدمة كتاب الشروط الصغير ج ١ ص ٢٩، وحول حياة الطحاوي، أنظر : ص ١١ - ١٨، وحول مؤلفاته، أنظر : ص ٢١ - ٢٩ .
- ٤٤ - أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج ١ ص ٢٩ - ٣٠ .
- ٤٥ - كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٦ .
- ٤٦ - ذكر حاجي خليفة وفاته عام ٢٤٥هـ في الصفحة نفسها (ص ١٠٤٦)، ولعله وقع في خطأ عندما كرر ذكره وحدد وفاته عام ٢٤٩هـ سهواً وربما هو خطأ مطبعي . وممن ذكر وفاته عام ٢٤٥هـ : أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج ١ ص ٢٩، محمد خضر، علم الشروط ص ١٥٤، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٨ .
- ٤٧ - كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٧ .
- ٤٨ - ذكر حاجي خليفة وذكرنا آنفاً من كتب علم الشروط كتاب البسيط لشمس الأئمة الحلواني، أوله : الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره، ولا نعلم هل المؤلف تكرر ذكره مع اختلاف لقبه أم انه مؤلف آخر، يشترك في اسم كتابه وبداية افتتاحه بنفس العبارة ؟
- ٤٩ - للحازمي مؤلف في الأنساب عنوانه : عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق : عبد الله كنون، (القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) .
- ٥٠ - ورد هكذا مجهول اسم المؤلف . كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٧ .
- ٥١ - علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية ص ١٥٤، أنظر أيضاً : الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٨ .
- ٥٢ - الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص ٤٨، وذكر حاجي (كما ذكرنا آنفاً) هذا المؤلف . كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٦ .
- ٥٣ - كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٦ .
- ٥٤ - ابن الغرضي الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول ص ٤٦ .
- ٥٥ - المصدر نفسه ص ٧٢ - ٧٣ .
- ٥٦ - المصدر نفسه ص ١١٩ .
- ٥٧ - المصدر نفسه ص ٢١١ .
- ٥٨ - المصدر نفسه ص ٣٥٠ .

- ٥٩ - المصدر نفسه ق ٢ ص ١٢ .
- ٦٠ - المصدر نفسه ق ٢ ص ٣٢ .
- ٦١ - المصدر نفسه ص ٥١ - ٥٢ .
- ٦٢ - المصدر نفسه ص ٦٥ .
- ٦٣ - المصدر نفسه ق ٢ ص ٩٠ .
- ٦٤ - المصدر نفسه ص ١٠٤ .
- ٦٥ - المصدر نفسه ص ١٣٣ .
- ٦٦ - المصدر نفسه ص ١٥٠ .
- ٦٧ - المصدر نفسه والصفحة، ولعل مولده عام ٣١١ هـ .
- ٦٨ - المصدر نفسه ص ١٥٧ .
- ٦٩ - المصدر نفسه ص ١٧٠ .
- ٧٠ - المصدر نفسه ص ١٨٣ .
- ٧١ - المصدر نفسه ص ١٨٨ .
- ٧٢ - ابن الغرضي . تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٤٧ .
- ٧٣ - المصدر نفسه ص ١٠٣ .
- ٧٤ - المصدر نفسه ص ١٦٣ .
- ٧٥ - المصدر نفسه ص ٣٠٩ .
- ٧٦ - البجاني نسبة إلى بجانة قرية من عمل الزهراء، ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٣٣٤ وبقيّة ترجمته في نفس الصفحة .
- ٧٧ - ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس، القسم الثاني ص ٣١ - ٣٢ .
- ٧٨ - المصدر نفسه ص ٤٦ .
- ٧٩ - المصدر نفسه ص ٤٩ .
- ٨٠ - المصدر نفسه ص ٥١ .
- ٨١ - المصدر نفسه ص ٥٢ .
- ٨٢ - المصدر نفسه ص ٥٧ .
- ٨٣ - المصدر نفسه ص ٥٨ .
- ٨٤ - المصدر نفسه ص ٧٠ .



- ٨٥ - المصدر نفسه ص ٧٠ .
- ٨٦ - المصدر نفسه ص ٧٢ .
- ٨٧ - المصدر نفسه ص ٧٥ .
- ٨٨ - المصدر نفسه ص ٨٢ (ترجمة ١٧ ، ١٨) .
- ٨٩ - المصدر نفسه ص ٨٤ ٨٥ .
- ٩٠ - المصدر نفسه ص ١٥٤ .
- ٩١ - المصدر نفسه ص ١٥٩ .
- ٩٢ - المصدر نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- ٩٣ - المصدر نفسه ص ١٩٥ - ١٩٦ .

## مصادر ومراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .  
× د. أسد رستم .
- ٢ - مصطلح التاريخ ، (بيروت، ١٩٣٩م) .  
× الألوسي. سالم عبود .
- ٣ - علم تحقيق الوثائق - المعروف بعلم الدبلوماسية ، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٧م) .  
× حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي .
- ٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الثاني، (طهران، ١٩٤٧م)، طبعة أوفسيت، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت) .  
× د. حسن عثمان .
- ٥ - منهج البحث التاريخي، الطبعة الثانية، (القاهرة، ١٩٦٤م) .  
× الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري، (ت: ٣٢١هـ / ٩٣٣م)
- ٦ - الشروط الصغير مزيلاً بما عثر عليه من الشروط الكبير، ج ١، تحقيق : روجي أوزجان، مراجعة : عبد الله محمد الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- × ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت : ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) .
- ٧ - تاريخ علماء الأندلس، القسم ١ - ٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٦م) .  
× ابن الفقيه الهمداني، أبوبكر أحمد بن محمد، (- : ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) .
- ٨ - مختصر كتاب البلدان، الطبعة الأولى، مطبعة بريل، (ليدن، ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م) .  
× ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت : ٧١١هـ / ١٣١١م) .
- ٩ - لسان العرب، مجلد ١٠، دار الفكر، دار صادر، (بيروت، د.ت) .  
× الهمداني، لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت.د : ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .
- ١٠ - صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكويع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

## الدوريات العربية

- × الألويسي، سالم عبود .  
١١ - الأرشيف تاريخه وأصنافه، مجلة الوثائق العربية، العدد (٣)، (بغداد، ١٩٧٧م) .
- × زروق، خديجة عثمان .  
١٢ - الوثائق ودورها في البحث العلمي، مجلة الوثائق العربية، العدد (٤)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .
- × عابدين، عبد المجيد .  
١٣ - التوثيق، تاريخه وأدواته، مجلة الوثائق العربية، العدد (٣)، (بغداد، ١٩٧٧م) .
- × عبد المنعم، د. شاكر محمود .  
١٤ - الوثائق وأهميتها في دراسة وتدريس التاريخ، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٥٥)، (بغداد، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .
- × محمد خضر محمد خضر .  
١٥ - علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية، مجلة الدارة، السنة الأولى، العدد (٤)، (الرياض، ذي الحجة ١٣٩٥هـ/ ديسمبر ١٩٧٥م) .